القراءات في سورة البقرة
توجيهها وأثرها في تفسير السورة

د.على على محمد جابر(*)

معنى القراءات في اللغة: القراءات جمع قراءة، وهي مصدر من الفعل قرأ، مثل القرآن. والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل.(١) فالقراءة بناء على ذلك من الضم والجمع، لذلك سمي القرآن قرآنا لأنه جمع ثمرة جميع العلوم والكتب السماوية، كما قال تعالى عنه: "وتفصيل كل شيء. وقيل: لأنه جمع السور بعضها إلى بعض(٢). وكذلك القراءات سميت بذلك لأن القارئ لها من شأنه أن يضم أصوات الحروف في ذهنه لتتكون الكلمات التي ينطق بها.

القراءات في الاصطلاح: قال ابن الجزري: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو الناقلة"(٣). فهذا الحد خرج به علم النحو، واللغة، والتفسير وما أشبه ذلك كما أشار رحمه الله.

وقريب من هذا المعنى ما ذكره الزركشي رحمه الله: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتشديد وغيرهما"(٤) والفرق بينهما أن الزركشي لم يشر في تعريفه إلي الناقلين للقراءات، وإن زاد تعريفه تفصيلا بذكر أمثلة لهذا الاختلاف.

فالقراءات صفة وهيئة للنطق بألفاظ القرآن الكريم، أو هي وجوه مختلفة للنطق بالألفاظ، فهي وحي نزل به جبريل عليه السلام، فالقراءات لا تنفصل عن القرآن، فهما كالاسم وصفته. لذلك من أنكر القراءات المتواترة فقد أنكر القرآن كما نبه على ذلك الأئمة رحمهم الله. ومما يدل على كون القراءات قرآنا أمور:

- أن كلا من القرآن والقراءة مصدر للفعل قرأ، بمعنى جمع وضم، فهما يرجعان إلى أصل واحد لغة.

(*) مدرس التفسير وعلوم القرآن، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادى.

- قوله تعالى: "إن علينا جمعه وقرآنه" [٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وقرآنه أي علينا جمعه في صدرك، وقرأته عليك"[٦]. فالله سبحانه كما جمعه في صدره، علمه كيفية قراءته.

ومن ذلك قوله تعالى: "وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي، إن أتبع إلا ما يوحى إلي"[٧] فالله سبحانه منع أفضل الخلق صلى اله عليه وسلم من تبديله بأي نوع، سواء من ناحية اللفظ، أو الشكل، أو المعنى، فكيف يجوز لغيره أن يقرأه من تلقاء نفسه، أو يبدل فيه !

- تواتر الأحاديث التي دلت على كون القراءات وحي منزل كالقرآن، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف".[٨] وكذلك روى مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراءته لسورة الفرقان، واختلافه مع هشام بن حكيم في ذلك، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماعه لقول كل واحد منهما: "هكذا أنزلت"[٩] فدلت هذه الأحاديث وغيرها على نزول القراءات بالوحي كالقرآن وقد نص الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله على أن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف متواتر عن النبي صلي الله عليه وسلم.[١٠]

ولذلك بين ابن الجزري رحمه الله أن اختلاف القراء منقول بالسند عمن سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن وصل إليهم، وليس ذلك من عندهم: "ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: "فاقرءوا ما تيسر منه"، بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن،وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل"[١١]

فإضافة القراءة إلى قارئ معين، لا تعني أنها من عنده، فهي إضافة اختيار ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي، واجتهاد: "ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له، وأكثر قراءة وإقراء به، وملازمة له، وميلا

إليه لا غير ذلك. وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة وروايتهم بها".(١٢)

ولذلك يجب قبول كل قراءة صحت وثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يسع أحد ردها. "فكل قراءة مع الآخرة بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا، ولا يجوز ترك موجب أحدهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض"(١٣) وبناء عليه فالمحققون من العلماء توقفوا حتى في الترجيح بين القراءتين عند تواترهما، وبخاصة ما يترتب عليه رد إحداهما لأنه يعد ردا لقرآن ثبت تواتره قال الكواشي: "إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقطها، وهذا غير مرضي،لأن كل منهما متواتر".

وقال أبو جعفر النحاس: "السلامة عند أهل الدين، إذا صحت القراءتان ألا يقال: إحداهما أجود، لأنهما جميعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا". وأشار أبو شامة إلى أن المبالغة في ترجيح قراءة على أخرى حتى يسقطها ليس بمحمود بعد ثبوت القراءتين(١٤)

ولذلك فالأولى عند النظر في اختلاف القراءتين تلمس الوجوه البلاغية لذلك بدلا من انتهاج أسلوب الترجيح الذي ساد بين الدارسين للقراءات، فقادهم إلى مزالق خطرة، برد ما تواتر من قراءات أو التقليل منها.

ضوابط القراءات المقبولة:

وجعل ابن الجزري وغيره للقراءات المتواترة، التي يحكم بكونها قرآنا، ثلاثة ضوابط:

١-موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

٢-موافقة رسم المصحف العثماني المجمع عليه.

٣-صحة السند، وتواتره.

قال: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز

ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها"(١٥)

الحكمة من تعدد القراءات وفوائدها:

قد أحصى العلماء لتعدد القراءات فوائد متعددة، منها ما يتعلق بالأمة التي خصها الله سبحانه بنزول القرآن بلسانها، فإنها كانت متعددة اللهجات، فرخص لهم أن تقرأ كل قبيلة القرآن وفق لهجتها تيسيرا عليهم. ومن ذلك أيضا إعظام أجور علماء الأمة من القراء وغيرهم، وبيان شرفهم من حيث أنهم فرغوا جهودهم وأوقاتهم لتلقي هذه القراءات، وحفظها، والاعتناء بنقل سندها، وبيان أحكامها، وضبط لفظها، فحققوا حتى مقادير المدات، وتفاوت الغنات، ومخرج كل حرف وصفته وغير ذلك. وكان أيضا في تعدد قراءته وفق لهجاتهم تيسيرا عليهم في حفظه ونقله.

ومن ذلك دلالتها على إعجاز القرآن، وصدق الرسالة وكونه كلام الله سبحانه. قال ابن الجزري: "ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه، لم يتطرق إليه تضاد، ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذاك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم"(١٦).

فتعدد القراءات في اللفظة الواحدة المؤدي لتعدد معنى الجملة بلا تناقض، خاصية انفرد بها النص القرآني عن كلام البشر، فانضاف ذلك إلى وجوه إعجازه التي فاقت الحصر.

ومن ذلك الفوائد المتعددة التي عادت على العلوم المختلفة الشرعية واللغوية،وسوف يظهر ذلك بالتفصيل عند عرض أثر القراءات في سورة البقرة.

نوع الاختلاف بين القراءات:

واختلاف القراءات اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، لأن الله سبحانه صرح بأن كلامه منزه عن التناقض والاختلاف فقال تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

كثيرا".[١٧] ثم وصفه الله سبحانه بالإبانة والوضوح فقال تعالى: "نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين".[١٨]

ولذلك فرق ابن الجزري رحمه الله بين اختلاف القراء واختلاف الفقهاء فقال: "وبهذا افترق اختلاف القراء عن اختلاف الفقهاء، فإن اختلاف القراء كله حق وصواب، نزل من عند الله، وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادي، والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة للآخر صواب يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة للأخرى حق وصواب في نفس الأمر، نقطع بذلك ونؤمن به"[١٩].

فهذه القراءات مع كثرتها في القرآن، وتعددها في اللفظ الواحد، واختلاف معانيها أحيانا، فكلها يصدق بعضها بعضا، ويشهد بعضها لبعض ويؤيده، وهذا برهان قاطع على أنها من الوحي الإلهي، والوحي الرباني. وسوف يتضح ذلك بجلاء، عندما نستعرض وجوه القراءات المختلفة، وتوجيه العلماء لها في أطول سورة في القرآن، وأكثرهم أحكاما وأخبارا، وهي سورة البقرة. والدراسة هنا مقتصرة على بيان أثر القراءات المتواترة، والتي سبق بيان ضوابطها، لأنها قرآن متواتر لا شك فيها.

وهذه القراءات المتنوعة في السورة بعضها لا أثر له في تفسير الآية، ودلالتها، وأحكامها، وهي القراءات التي ترجع إلى الاختلاف في وجوه النطق وهيئة الأداء، وبعضها يتبعه تنوع في دلالة الآية، وثراء لمعانيها، كالقراءات التي ترجع إلى الاختلاف في الحروف، أو الحركات.

وبعد جمع القراءات المختلفة في السورة واستقرائها، تبين أنه يمكن تصنيفها بالنسبة لأثرها في تفسير السورة إلى خمسة أقسام:

الأول: التغاير الصوتي للقراءات وأثره في دلالة الآية.

الثاني: التغاير النحوي للقراءات وأثره في دلالة الآية.

الثالث: التغاير الصرفي وأثره في دلالة الآية.

الرابع: التغاير الأسلوبي وأثره في دلالة الآية.

الخامس: أثر اختلاف القراءات في استنباط أحكام الآية.

الأول: التغاير الصوتي للقراءات وأثره في دلالة الآية

فهذه الاختلافات يعبر عنها بالأصول المطردة للقراء، وتكون في هيئة الأداء، وطريقة النطق فقط، مثل اختلافهم في الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والفتح والإمالة، والتحقيق والتسهيل، وغير ذلك.

فهذه الصفات المتنوعة في نطق اللفظ وأدائه، لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا، لا اختلاف في أصل حروف اللفظ، ولا في معناه. ولذلك فإن هذا الاختلاف لا أثر له في معنى الآية، ودلالتها.

وسوف أمثل لذلك من قراءات السورة بأمثلة متعددة من كل أصل من أصول القراء المطردة[٢٠]، والتي ينبني عليها النظام الصوتي للقرآن الكريم.

أ - الإدغام والإظهار:

- قوله تعالى: "فيه هدى"، أدغم أبو عمرو بناء على أصله في إدغام المثلين الكبير للتخفيف، فقد أدغم الهاء الأولى في الثانية، وأظهر الباقون لأنه الأصل.
- وكذلك أدغم أبو عمرو القاف في الكاف في قوله تعالى: "الذي خلقكم"، على أصله في إدغام المتقاربين الكبير. وكذلك إدغامه للراء في اللام: "تغفر لكم"، والإظهار للباقين.

ب - الإمالة والفتح:

- ففي قوله تعالى: "فيه هدى"، أمال حمزة، والكسائي، وخلف "الألف"، لأنها منقلبة عن ياء، بناء على أصولهم في الإمالة. وفتح الباقون على أنه الأصل.
- وقوله تعالى: "وبالآخرة هم يوقنون"، أمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها بناء على أصله في ذلك، وفتح الباقون.

ج - ياءات الإضافة:

- ومن ذلك قوله تعالى: "إني أعلم"، "وعهدي الظالمين"، "بيتي للطائفين"، "فاذكروني أذكركم"، "وليؤمنوا بي".

بعض القراء فتح الياء في الآيات، وحجته أنها كالهاء والكاف في: "إنه، وإنك"، وهي اسم مكنى والمكنى مبني على حركة ما، وفتحها القراء

لأنها جاءت بعد كسر. وحجة من أسكنها أن الحركة على الياء ثقيلة، كما أن أصل البناء السكون(٢١)

د – الهمزوالتسهيل:

- كما في قوله تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب"، أبدل ورش الهمزة واوا وكذلك أبو جعفر، وأبو عمرو، بناء على أصولهم ، وذلك من باب التخفيف، ولأن طرحها لا يخل بالكلام، ولا يحيل المعنى (يومنون)، وباقي القراء يهمزون لأنه الأصل.
- وكقوله تعالى: "أأنذرتهم أم لم تنذرهم"، أبدل ورش الهمزة الثانية ألفا. وأبو عمرو، وقالون، وهشام يدخلون ألفا بين الهمزتين، وباقي القراء يقرءون بالتحقيق فيهما.

وكذلك اختلافهم في إبدال الهمزة الثانية من كلمتين في قوله تعالى: "السفهاء ألا إنهم هم السفهاء".(٢٢)

ل– المدوالقصر:

اختلف القراء في مراتب المد المنفصل في قوله تعالى : "بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، فمنهم من لم يمده، ومنهم من مده ثلاث حركات، ومنهم أربع ومنهم خمس.

وكذلك اختلفوا في مراتب المد المتصل في قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"، فالجمهور على مده ست حركات، والآخرون لهم مراتب في مده بين الإشباع والتوسط.

م–– الوقفوالابتداء:

- مثل قوله تعالى: "على كل شيء قدير"، وقف حمزة على الياء قبل الهمزة، ليحقق مخرج الهمزة، فجعلها كالمبتدأ، ولم يقف باقي القراء، لأنه لا يقف على بعض الاسم ووسطه.

ن– اختلافهمفيالإسكانوالتحريك:

مثل: (هو، هي)، فقد قرأها أبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر، بإسكان الهاء، إذا كان قبلها: واو، أو فاء، أو لام، مثل: "وهو بكل شيء عليم".

واختلاف القراء هنا الذي سبقت أمثلته، والمبني على أصولهم المطردة لا أثر له في اختلاف معنى الآية وتفسيرها، فهو اختلاف مرجعه

إلي تعدد لهجات العرب في نطق اللفظ، وفائدته التيسير عليهم في قراءة القرآن وفق لهجاتهم، وفطرتهم اللغوية، فهي رخصة دالة على سماحة الشرع ويسره، وإشارة في نفس الوقت إلي إعجاز القرآن الصوتي، وكونه كلام الله، لأنه طوع قراءته لكل قبائل العرب، فوافقت فطرتهم اللغوية جميعا مع اختلاف لهجاتهم، فاستطاعت كل قبيلة أن توقعه على لحنها. قال الزرقاني: "فمع تعدد مناحي التأليف الصوتي لقبائل العرب على لهجات متعددة، فقد نزل القرآن على سبعة أحرف تكافئ هذه الفروع اللسانية عند العرب جميعا، فيستطيع كل عربي أن يقرأه على لحنه وصوته الفطري، ومع ذلك بقى إعجازه الصوتي يتحدى كل العرب".(٢٣)

ومع تعدد قراءاته حسب لهجات العرب، إلا أنه لا تناقض بين معانيه، ولا تنافر بين ألفاظه وقوافيه.

بالإضافة إلى أنه يشكل جانب الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، الذي يجعل قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل، بتأثيره الذي يأثر نفس العربي ومشاعره، وكذلك الأعجمي الذي لا يفهم العربية، ولا يتكلم بها. وهذا الأثر النفسي لصوت القرآن هو الذي يفسر لنا إيمان عمر رضي الله عنه بعد أن دخل على أخته وزوجها كالثور الهائج، الذي لا يقف أمامه شيء، فما لبث أن سمع أول سورة طه، فتغير حاله، واطمأن جنانه. وكذلك هذا الإعجاز الصوتي الذي ينسجم مع الفطرة اللغوية لكل حي، يعد من أول الأسباب التي أجبرت أعتى خصوم القرآن بالشهادة له، وهو الوليد بن المغيرة، فقد قال لزعماء الكفر حين اجتماعهم للنظر في أمره كلمته المأثورة : والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلوا ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته"(٢٤). وعن هذا الأثر النفسي يقول الرافعي: "وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل بغيرها لكان دربا من الكلام البليغ.... ولما وجد فيه أثر يعدى أهل هذه اللغة إلي أهل اللغات الأخرى(٢٥)".

فهذا الإعجاز الصوتي للقرآن – وإن كان لا أثر له في معنى الآيـــة – فهو الذي أعطى الروعة والمهابة في قلوب السامعين لـــه والقارئين، ســواء الناطقين بالعربية وغيرهم، وسواء المقر به أو الجاحد له.

قراءات ترجع إلى اختلاف لهجات قبائل العرب:

وهذه القراءات لا أثر لها أيضا في معنى الآية، فهي تعود إلى اختــلاف اللهجات في تحريك الحرف أو تسكينه، أو الاختلاف في نوع الحركة. ومـــن الأمثلة على ذلك في الأسماء :

قوله تعالى: "وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بـــروح القــدس"، البقرة ٨٧.

القراءات في "القدس":

اختلف القراء في إسكان "عين الفعل" من "القدس "وما شـــاكلها مثـــل: "خطوات، اليسر، العسر، عسرة":

أسكن الدال من "القدس" ابن كثير، وضمها الباقون.

وحجة ابن كثير أنه كره توالي ضمتين في اسم، فأسكن تخفيفا. وحجـــة من ضم أنه أتى بالكلمة على أصلها، أو يكون الإسكان والضم لغتيـــن عـــن العرب. وروح القدس هو جبريل عليه السلام. (٢٦)

ومن ذلك "أكلها"، في قوله تعالى: "فآتت أكلها ضعفين.."،البقرة: ٢٦٥.

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو "أكلها"، بإسكان الكـــاف، والبـــاقون بالضم.

وحجة الضم أنه أصل الكلمة، ويؤيد ذلك إجماعهم علـــى الضـــم فـــي قوله: "ذواتى أكل خمط"(٢٧). وحجة الضم التخفيف(٢٨).

ومن أمثلته في الأفعال:

- قوله تعالى: "قال هل عسيتم إن كتب عليكـــم القتـــال ألا تقـــاتلوا"، البقرة: ٢٤٦.

قرأ نافع بكسر السين في "عسيتم"، وكذلك في آية سورة محمد: "هـــل عسيتم إن توليتم.."، وقرأ الباقون بفتحها. ولغة أهل الحجاز كسر السين مـــع المضمر خاصة، يقال: عسيت، وعسين، ولا يسوغ مـــع الاســـم الظـــاهر إلا الفتح مثل: عسى زيد(٢٩).

ومن ذلك: "يحسبهم" في قوله تعالى: "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف..."، البقرة: ٢٧٣.

قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، بفتح السين، وكذلك في "يحسبن"، و "يحسب"، والباقون بكسرها.

وحجة فتح السين أنه القياس، لأن الماضي إذا كان مكسور العين "فعل"، فمضارعه بفتح العين، مثل: "شرب يشرب"، "فرق يفرق".

ومن كسر السين لأنه مسموع عن العرب في عدة ألفاظ منها: حسب يحسب، عمد يعمد، نعم ينعم....

وهما لغتان عن العرب، فالفتح لغة تميم، والكسر لغة الحجاز.[٣٠]

وقد يترتب على اختلاف اللهجات، اختلاف معنى لكنه اختلاف تنوع وتعدد، فتقبل الآية المعنيين، ومن ذلك "السلم"، في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة"، البقرة: ٢٠٨.

قرأها ابن كثير، والكسائي، والمدنيان "السلم"، بفتح السين، وكذلك في سورة الأنفال: "وإن جنحوا للسلم..."[٣١] ، وفي سورة محمد: "وتدعوا إلى السلم.."[٣٢]، وقرأها الباقون بالكسر في كل المواضع.

وحجة من فتح أن السلم هنا بمعنى الصلح، ومن كسر أراد به الإسلام. وقيل : هما بمعنى الإسلام، إلا أن الفتح لغة قليلة فيه.

والقراءتان بمعنى واحد، على كلا الوجهين، فإن الإسلام صلح على الحقيقة، واحتمال المعنيين في قراءة الرفع، كما أشار أهل اللغة، يؤكد سياق الآيات، فإن سياق آية البقرة يؤيد أن السلم بمعنى الإسلام، وسياق آية محمد والأنفال يرجح أنه الصلح، وكون الإسلام هو الصلح كما تفيد القراءتين يشير إلى ملمح بلاغي عظيم، وهو الصلة القوية بين الإسلام والصلح والوفاق، على خلاف ما يزعم أعداء الإسلام باتهامه بالعنف والإرهاب. وظاهر الخطاب أنه مع المؤمنين، أمرهم الله سبحانه بامتثال جميع شرائع الإسلام، والانقياد لها، وقيل: الخطاب مع أهل الكتاب، وقيل: مع من أسلم منهم خاصة[٣٣] ..، والراجح القول الأول لأن الخطاب مع المؤمنين.

الثاني: التغاير الصرفي وأثره في دلالة الآية

والتغير الصرفي المقصود به التغيير الحادث في بنية الكلمة، إما في حركات الحروف، أو بزيادتها ونقصانها، أو بإبدال أحد حروفها، وهذا التغاير قد يرجع إلى لهجات مختلفة للعرب في نطق الكلمة، وقد يرجع إلى تعدد المعاني المتنوعة، التي تدل على ثراء الآية وتنوع ثمارها.

وهذا التغاير الصرفي غالبا تكون القراءتان فيه بمعنى واحد، وأحيانا يكون لكل قراءة معنى مستقل، فيترتب عليه تعدد معنى الآية لكنه اختلاف تنوع لا تناقض.

وبعد أن جمعت القراءات التي يرجع الاختلاف بينها إلى التغاير الصرفي وجدتها تعود إلى صور مختلفة حسب نوع التغيير الصرفي في الكلمة، وقد جعلتها قسمين:

الأول: صور التغاير الصرفي للقراءات التي لا يختلف معناها ومن ذلك:

تعدد صيغ المصدر للفعل الواحد:

ومثاله قوله تعالى: "ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" البقرة: ٢٥١.

القراءات في "دفع":

- قرأ المدنيان، ويعقوب "دفاع "بكسر الدال، وألف بعد الفاء. وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: "ولولا دفع الله الناس". وقرأ الباقون "دفع"، بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف. وكذلك قوله تعالى في سورة الحج: "ولولا دفع الله الناس".

التوجيه:

من قرأ بالألف أراد مصدر الفعل "دافع دفاعا"، فيكون مصدرا للفعل الرباعي، ويكون من باب المفاعلة، لأن المحاربين للمؤمنين فهم محاربون لله، والله مدافع عن حزبه.

ومن أسقط الألف أراد المصدر من الفعل الثلاثي "دفع دفعا"[٣٤]. ولأن الله سبحانه هو المنفرد بالدفع عن حزبه، ولا أحد يدافعه فيغالبه، فلا يكون من باب المفاعلة[٣٥].

والقراءتان بمعنى واحد فالدفع والدفاع بمعنى واحد، قال أبو علي: "المعنيان متقاربان"، قال الشاعر:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفع"[٣٦]

أو تكون القراءتان مصدرين لفعل واحد "دفع"، "دفعا ودفاعا" مثل: كتب كتابا وكتبا، وهذا مذهب سيبويه. وقال أبو حاتم: "دافع ودفع" بمعنى واحد، مثل طرقت النعل وطارقت، أي خصفته، والخصف الخرز.

وأنكر أبو عبيدة قراءة "دفاع"، لأن الله عز وجل لا يغالبه أحد. قال مكي: هذا وهم فإنه ليس من باب المفاعلة[٣٧]، قلت: وقد تكون من باب المفاعلة ولكن الدفاع والمغالبة هنا تكون بين حزب الله سبحانه والكفار المفسدين ولكن الله سبحانه أسند الدفاع إلى نفسه بقوله: "ولولا دفع الله" ليبين أن من حارب أولياءه فقد حاربه سبحانه، والله سبحانه لا يغلب، وقد قال تعالى: "يحاربون الله ورسوله"، "قاتلهم الله". وإن كان سياق الآيتين يؤكد معنى المفاعلة فالدفاع والمقاتلة بين الناس وبعض.

ومعنى الآية محتمل لأمور:

- أن الله سبحانه يدفع بالطائعين عن العصاة، ولولا ذلك لهلك العصاة، فقد جاء في الحديث: "إن الله يدفع العذاب بمن صلى من أمتي عمن لا يصلي، وبمن زكى عمن لا يزكي، وبمن يصوم عمن لا يصوم..."، وفي الحديث أيضا: "لولا أطفال رضع، وعباد ركع، وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا".
- وقيل: لولا أن الله يدفع ويصد المشركين بجنود المسلمين والمجاهدين، لغلب المشركون على الأرض، فأفسدوا فيها وخربوا المساجد، وأهلكوا الحرث والنسل.
- وقيل: لولا دفع الله سبحانه الفساد بالشرع والدين. وقيل: لولا دفع الظلم بالشهود. وقيل: بالسلطان[٣٨]، والراجح القول الثاني، ويؤيده سياق القصة التي انتصر فيها داود عليه السلام على جالوت الطاغي، والأقوال الأخرى داخلة في معنى الآية بطريق الإشارة والالتزام، والله أعلم.

تردد قراءة اللفظين كونه اسما أو مصدرا:

ومثاله قوله تعالى: "إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده..."، البقرة: ٢٤٩.

قرأ غرفة بفتح الغين، على أنه مصدر واسم للمرة، أي اغترف غرفة واحدة فشربها. وقرأ "غرفة" بالضم على أنه اسم للشيء المغترف باليد أو غيره، لا فعل الشرب نفسه[٣٩]. وهما لغتان بمعنى واحد، أو يكون الخلاف بينهما قريبا لأن الشيء المغترف قليل، وكذلك الغرفة الواحدة.

والآية تحكي ما حدث لجنود طالوت أحد ملوك بني إسرائيل، لما عطشوا عطشا شديدا في سيرهم إلى قتال جالوت، فبين لهم الله مختبرهم بهذا النهر الذي يمرون عليه، مبينا لهم أن من اغترف غرفة واحدة منه واكتفى بها، فهو من أوليائه وأنصاره، وأما من شرب كثير وكرع فيه فليس من أوليائه، فخالف معظمهم بالشرب منه، جريا على عادة بني إسرائيل في مخالفة أنبيائهم، مع وضوح الحق وأدلته، وهذا ديدنهم دائما إلى اليوم، فإذا كان هذا فعلهم مع الأنبياء فكيف بغيرهم !

تردد قراءة اللفظ بين المصدر والصفة:

. ومثاله قوله تعالى: "وقولوا للناس حسنا "، البقرة: ٨٣

القراءات في "حسنا":

- قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف "حسنا"، بفتح الحاء والسين.

وقرأ الباقون "حسنا"، بضم الحاء وإسكان السين[٤٠].

التوجيه:

حجة من ضم الحاء أنه أراد المصدر يقال : حسن يحسن حسنا، واستدل بقوله تعالى: "ووصينا الإنسان بوالديه حسنا" [٤١]، وقوله تعالى: "ثم بدل حسنا بعد سوء...."[٤٢] وحجة من فتح الحاء، أنه أراد الصفة، (أي قولوا قولا حسنا)، فأقام الصفة مقام الموصوف.

والقراءتان بمعنى واحد لأن "الحسن"، يراد به "الحسن"، وكلاهما لغة في الاسم والصفة، كما يقال: (البخل والبخل)، و (الحزن والحزن).

أو يكون وضع "الحسن"، وهو المصدر مكان "الحسن" وهو الشيء الحسن مبالغة في الوصف، كقولهم: "إنما أنت أكل وشرب".

وقيل: القراءتان مختلفتان، فالحسن بالضم المقصود به الجنس الجامع لمعاني الحسن، و "الحسن" بالفتح يراد به نوع واحد من معاني الحسن، وبناء على ذلك رجح الطبري رحمه الله قراءة الفتح لأن المعنى أمر لبني

إسرائيل باستعمال الكلام الحسن مع الناس دون سائر معـــاني الحســن[٤٣]، وصوب ابن خالويه الضم لأن قراءة الفتح تقتضي محذوفا.

والصواب صحة القراءتين لتواترهما، ولما أشــرنا مــن أن "الحســن والحسن" قد يجيئا ن بمعنى واحد، أو يكون وضع المصـــدر مكـان الصفــة مبالغة بناء على مذهب من فرق بينهما، والله أعلم.

تردد قراءة اللفظين بين اسم الفاعل واسم المفعول:

ومثاله قوله تعالى: "ولكل وجهة هـــو موليــها فاســتبقوا الخــيرات"، البقرة:١٤٨.

القراءات في "موليها":

قرأ ابن عامر "مولاها"، وقرأ الباقون "موليها".

التوجيه:

حجة قراءة ابن عامر أنه جعل "المولي" اسم مفعول، وأصلــه "موليــها" فلما تحركت الياء انقلبت ألفا، فصارت: "مولاها"، أي أن الله أهل كـــل ملــة للقبلة التي يريدها. وحجة الباقين أن "المولي" اســم فــاعل، والمعنــى لكــل صاحب ملة قبلة هو موليها نفسه.

والقراءتان معناهما متقارب، فإن ما وليته وتوجــهت إليــه فقــد ولاك وتوجه إليك، كقوله تعالى: "لا ينال عهدي الظالمين"، أو "الظالمون"، وقولــه: "فتلقى آدم من ربه كلمات"، برفع "آدم" عليه السلام مرة، ونصبه أخـــرى.

تردد كون الفعل مجردا أو مزيدا بالألف:

قال تعالى: "وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم"، البقرة:

القراءات في "تفادوهم":

الأولى: قرأ المدنيان، وعاصم، والكسائي، ويعقوب "تفادوهم " بضـــم التــاء والألف بعد الفاء.

الثانية: قراءة الباقين "تفدوهم" بفتح التاء، وسكون الفاء من غير ألف[٤٤].

التوجيه:

حجة القراءة الأولي أن المفاداه مفاعلة، فهي فعل من اثنين بالمبادلــة، فالفداء أن تأخذوا أسراكم، وتعطوا أسراهم، فتفعل به كما يفعل بك.

وحجة الثانية أن المفاعلة تأتي على غير بابها أحيانا، فتكون من واحد فقط بمعنى (فعل) كقولهم: فاديت نفسي، فيكون معنى (تفدوهم) هنا استنقذتموهم أو أعطيتم فديتهم(٤٥).

فقراءة (تفدوهم) لها وجهان:

- إما أن تكون بمعنى خلصتموهم بالصلح أو بالمال. فتخالف القراءة الثانية (تفادوهم) بمعنى بادلتم أسيرا بأسير، فيختلف المعنيان. أو تكون القراءتان بمعنى واحد، وتكون (فاعل) بمعنى (فعل) المجرد أو العكس فتكون (فعل) بمعنى (فاعل). لأن دفع المال أو غيره مقابل إطلاق الأسير نوع من المفاداه.

وعلى كلا الوجهين تتفق القراءتان، قال الراغب: "يقال: فديته بمال، وفديته بنفسي، وفاديته بكذا "، والفداء معناه طلب الفدية من الأسير، وقد تكون الفدية بمبادلة أسير بآخر أو بدون ذلك كالصلح ودفع المال وغيره.

ورجح الطبري قراءة (تفدوهم) لأن الثانية تدل على أن مبادلة الأسرى تكون من الجانبين، والمعلوم أن اليهود مطالبون بفداء أسراهم ببعض، أو بدفع المال، أو الفدية بأي وجه، وهذا المعنى هو المفهوم من قراءة (تفدوهم)(٤٦).

وما رجحه غير راجح لسببين:

- أن قراءة تفادوهم متواترة كالأخرى، فهما في الإعجاز سواء.
- ما ظهر لنا من أن القراءتين بمعنى واحد لغة.

وإذا قلنا أن كل قراءة بمعنى، فتكون القراءتان أوجه متعاونة في تفسير الآية. فيجوز لهم الفداء بالمال أو بمبادلة الأسرى، أو تكون فدى أعم من فادى لأنها تشمل كل أنواع الفداء، أو يحمل اختلاف القراءات على اختلاف الأحوال، فمرة تكون مفاداه بتبادل الأسرى، ومرة أخرى بفداء الأسير بالمال أو غيره.

ومن ذلك قوله تعالى:

"وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون"، البقرة: ٥١.

القراءات في "واعد":

- قرأ أبو جعفر والبصريان: "وعدنا" دون ألف من بعد الواو، وكذلك في سورة الأعراف.(٤٧)، وسورة طه(٤٨) وقرأ الباقون بالمد "واعدنا".

التوجيه:

حجة من قرأ دون مد أن الله سبحانه هو المنفرد بالوعد والوعيد، وإنما تكون المواعدة بين المخلوقين، ولذلك كان "وعدنا" هنا أولى من "واعدنا". ويؤيد ذلك قوله تعالى: "إن الله وعدكم الحق"، وقوله تعالى: "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم"(٤٩).

وحجة من قرأ بالمد أمران:

الأول: أن العرب تستخدم أحيانا "فاعل" بمعنى "فعل"، كما مضى.

الثاني: أو تكون "فاعل" هنا على بابها من وقوع الحدث بين اثنين، ويكون الله سبحانه هو المواعد لموسى عليه السلام، فلما قبله موسى صار شريكا في الوعد فقبول الوعد يشبه الوعد. أو يكون الله سبحانه وعد موسى الوحي، ووعدة موسى بالمجيء إلى الميقات(٥٠).

وقد أنكر أبو عبيد قراءة "واعدنا" لأن المواعدة لا تكون إلا بين البشر، وأيده مكي وأبو حاتم. والصواب جواز ذلك لغة على التأويل السابق من معنى "واعدنا" بين الله سبحانه وبين موسى، كما أن هذه القراءة متواترة فكيف يرد القرآن المتيقن بحجج لغوية مظنونة! وقد قال القفال: "لا يبعد أن يكون الآدمي يعد الله بمعنى يعاهده"(٥١). وأيدها الطبري كذلك(٥٢).

تردد كون الفعل مزيدا إما بالتضعيف أو بالهمزة:

ومثاله قوله تعالى:

"ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون"، البقرة:١٣٢.

القراءات في "ووصى":

- قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: "وأوصى" ثلاثي معدي بالهمزة مع تخفيف الصاد، وهي موافقة لرسم المصحف المدني والشامي، ويؤيده قوله تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم" النساء:١١

- وقرأ الباقون: "وصى" الثلاثي المزيد بتضعيف الصاد، وهي موافقة لمصحف أهل العراق[٥٣]، ويؤيده قوله تعالى: "أم وصاكم الله بهذا" الأنعام: ١٤٤.

والقراءتان بمعنى واحد، والمشددة من باب المبالغة بتكرير الوصية.

قال أبو حيان: "وصي وأوصى" لغتان، إلا أنهم قالوا: إن وصى المشدد يدل على المبالغة والتكثير". وقال الراغب: يقال: أوصاه ووصاه ثم ذكر الآية[٥٤].

و (أفعل) و (فعل) لهم حالات:

- أن يكون بمعنى واحد، كقولهم:(أكرمت وكرمت).
- وقد يختلفان في المعنى كقولهم: أفرطت بمعنى تجاوزت الحد. وفرطت بمعنى قصرت.
- وأحيانا لا تصح (أفعلت) مكان (فعلت) كقولهم: "كلمت زيدا" فلا يقال: (أكلمت). وكذلك العكس فيصح: أجلست زيدا، ولا يصح: (جلست).[٥٥]

والوصية: العهد المقترن بالوعظ، والوصية هنا التي وصى بها إبراهيم عليه السلام بنيه والمشار إليها بالضمير (بها) إما أن تكون ملة إبراهيم، أو قوله: "أسلمت لرب العالمين" وهو الظاهر لأنه أقرب مذكور للضمير.

ومن ذلك قوله تعالى:

"بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده"، البقرة: ٩٠.

القراءات في "أنزل":

- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (ينزل) بإسكان النون، وتخفيف الزاي، مضارع (أنزل) المعدي بالهمزة.
- وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي، مضارع (نزل) المعدي بالتضعيف[٥٦].
- وكلا القراءتين بمعنى واحد، والفعل (نزل) لازم وقد يعدي بالهمزة، وكذلك بالتضعيف، فالزيادة هنا للتعدية للمفعول به. وجمهور

اللغويين على ذلك إلا أن أبا منصور اللغوي ذهب إلى أن "نزل وأنزل" قد يكونان بمعنى واحد، وقد تأتي "نزل" للدلالة على التكثير والتكرار. والراجح أنهما بمعنى واحد، لأنه قد جاءت قراءة التشديد في مواضع لا تحتمل التكرار والزيادة مثل قوله تعالى: "لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا" سورة الأنعام ٣٧٠، وقوله تعالى: "وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة" الفرقان:٢٣، فإن التشديد هنا إن دل على التكرار ناقض قوله في الآية" جملة واحدة"، وكذلك خفف بعض القراء في مواضع تحتمل التكثير مثل قوله تعالى: "وينزل الغيث" لقمان:٣١[٥٧]. ومعنى الآية أن كفر اليهود كان بسبب نزول الوحي على النبي صلي الله عليه وسلم وهو من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل، وذلك من باب الحسد والحقد على العرب ونبيهم صلي الله عليه وسلم.

-ترددكون الفعل مزيدا بالألف أو التضعيف:

ومنه قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة "، البقرة: ٢٤٥.

القراءات في "فيضاعفه":

- قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب "فيضعفه"، بالتشديد مع حذف الألف، وكذلك في سورة الحديد[٥٨]، وكذلك "يضعف ومضعفه"[٥٩]، وأبوابها في القرآن.
- وقرأ الباقون بإثبات الألف، والتخفيف: "فيضاعفه"[٦٠].

التوجيه:

حجة من قرأ بالتضعيف أنه يدل على تكرار فعل الله سبحانه، ومداومته للثواب. وحجة من قرأ بالألف أن المضاعفة تكون أكثر في العطاء بدليل قوله تعالى في الآية: "أضعافا كثيرة"، وقوله تعالى: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها".[٦١]

والقراءتان بمعنى واحد، فالتشديد والتضعيف لغتان في الفعل.

قال الراغب: "أضعف الشيء وضعفته، وضاعفته، معناه ضممت إليه مثله فصاعدا". [٦٢]. وقال الرازي: "التضعيف، والإضعاف، والمضاعفة واحد

وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يبلغ مثلين أو أكثر"[٦٣] . وقيل بينهما فرق، "ضعف" بالتشديد تكون للمثلين فقط، و"ضاعف" لما زيد أكثر من ذلك، ورد النحاس ذلك، مبينا أن التفريق بينهما لا تعرفه العرب.

وصوب الطبري قراءة الألف لأنه أكثر استعمالا وفصاحة في لسان العرب[٦٤] وحجته لم يقبلها العلماء كما سبق بيانه لأن شيوع القراءة لغة ليس شرطا لصحتها وقبولها، وكلا القراءتين حازت وصف الفصاحة لكونها قرآن منزل، ويكفي لفصاحة قراءة التشديد ورودها في القرآن.

احتمال الفعل لحذف أحد حروفه، أو إدغامه:

ومثاله قوله تعالى: "تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان.."، البقرة:٨٥.

القراءات في "تظاهرون":

- قرأ الكوفيون (تظاهرون)، بتخفيف (الظاء) على حذف إحدى التاءين، لأن أصل الفعل (تتظاهرون)، على وزن تتفاعلون، وكذلك (تظاهرا) في سورة التحريم[٦٥]. قرأ الباقون (تظاهرون)، بتشديد (الظاء)، وبإدغام التاء الثانية في الظاء لتقارب مخرجهما، لأن أصل الفعل (تتظاهرون)[٦٦].

التوجيه:

الحجة لمن قرأ بالحذف أنه طلب التخفيف في التعبير باللفظ لأن في الإدغام ثقل. ومن قرأ بالإدغام لأنه يدل على أصل الفعل، والإدغام جار في كلام العرب[٦٧].

وكلا القراءتين بمعنى واحد (فتظاهرون) تتعارفون، مشتق من الظهر لأن بعضهم يقوي بعضا، فيكون له كالظهر. وأيد ذلك الطبري[٦٨].

ومعنى الآية أن الله سبحانه ينعي على بني إسرائيل نقضهم لعهدهم معه سبحانه وتحريف شرعه، بقتال بعضهم لبعض وتعاونهم على نصرة إخوانهم ظلما وعدوانا.

احتمال الاسم لبناءين في جمعه:

ومن ذلك قوله تعالى: "وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"، البقرة: ١٦٤.

القراءات في "الرياح":

- قرأها حمزة، والكسائي على الإفراد (الريح)، وكذلك في سورة الأعراف والكهف، وإبراهيم، والنمل، والروم، وفاطر والشورى والجاثية. ووافقهم ابن كثير في الأعراف، والنمل، والروم، وفاطر والشورى، وأفرد حمزة ما في سورة الحجر، وابن كثير ما في سورة الفرقان.
- وقرأ باقي القراء بلفظ الجمع (الرياح) وذلك في كل القرآن ما عدا آية الشورى، وإبراهيم، فلم يقرأهما بالجمع سوى نافع(٦٩).

التوجيه:

حجة من قرأ بالتوحيد إما لأنه اسم جنس كقولهم: أهلك الناس الدينار والدرهم يدل على القليل والكثير، أو لأن أسلوب القرآن غالبا توحيد لفظ الرياح عندما تكون للعذاب والدليل على ذلك قوله تعالى: "وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العظيم"، فهنا العذاب، ولقوله عليه الصلاة والسلام عند هبوب الرياح: "اللهم اجعلها رياحا لا ريحا".

ومن جمع لفظ (الرياح) فإنه راعى اختلاف جهات الرياح جنوبا وشمالا وكذلك صفتها للعذاب أو للرحمة، أو لأن كل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع. وبذلك تتفق القراءتان في الدلالة على أصل المعنى وهو جنس الريح، ويستشف من الإفراد والجمع دلالات بلاغية أخرى، تمثل أوصافا وحالات لجنس الريح من كونها للعذاب أو للرحمة، أو تعدد أنواعها ودلالاتها وغير ذلك. والبلاغيون في نظرتهم هذه يؤيدهم استقرائهم لاستعمال القرآن للفظة، وكذلك الواقع الحسي لأثر الريح، وقد أثار كل هذه المعاني تعدد القراءة في هذه الآية.

والتصريف هو الرد والتحويل، والرياح أصلها من (راح) يروح، قلبت ياء لكسرة ما قبلها، ولما زال موجب القلب ظهرت الواو، فقالوا في جمع القلة (أرواح). وسميت ريحا لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والرحمة وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم.

وآيات الرياح في الدلالة على خالقها سبحانه ما فيها من قوى شديدة تقلع الأشجار، وتهدم الديار، وتهلك الكفار، وكذلك منافعها في تربية

الزرع وسوق السحاب المحمل بالمطر إلى الجهات المختلفة، ودفع السفن، وما يتوقف عليها من حياة الناس والحيوان والنبات[٧٠].

ومن ذلك قوله تعالى:

"كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..."، البقرة: ٢٨٥.

القراءات في "كتبه":

- قرأ حمزة، والكسائي، وخلف "كتابه"، على الإفراد، وكذلك آية "التحريم" صدقت بكلمات ربها وكتابه"[٧١].
- وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية له "وكتبه"، بالجمع هنا، وبالإفراد في سورة التحريم.
- وقرأ ابن عامر بالجمع في الموضعين[٧٢].

التوجيه:

حجة من جمع تظهر من وجهين:

- تحقيق المعنى، فإن الله سبحانه أنزل كتبا متعددة، وكذلك الرسل.
- في الجمع تحقيق للمشاكلة بين ألفاظ الآية فإن (كتبه) سبقت بالملائكة وتبعت بالرسل، وكلاهما جمع.

وحجة من أفرد:

- أنه أراد به القرآن، لأن أهل الأديان اعترفوا لبعضهم بكتبهم، وآمنوا بها إلا القرآن، فقد أنكروه.
- أو أنه أراد بالكتاب الجنس الذي يدل على كل الكتب، والتعبير بالجنس أبلغ من التعبير بالجمع، وقد قرأ ابن عباس (وكتابه) فقيل له في ذلك فقال : كتاب أكثر من كتب، ذهب به إلى اسم الجنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس (والمقصود الدراهم). وفي الحديث: "منعت العراق درهمها وقفيزها"[٧٣].

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه أريد بالواحد الجنس، والجنسية فائقة في وحدات الجنس كلها لم يخرج منه شيء، وأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع".

وقال ابن المنير: "وقد قال مالك إن التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فإن التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية، والتمور يرده إلى تخيل الوحدات، ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع...". (٧٤)

ولم يوافق أبو حيان على أن اسم الجنس أبلغ من الجمع، فإن قولهم: "أعتقت عبيدي"، يشمل كل عبد بلفظه، ولا يذهب إلى العموم في الواحد إلا بقرينه مثل الاستثناء منه أو وصفه، كقوله تعالى: "إن الإنسان لفي خسر" وقولهم: "أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض"، فأقصى حال اسم الجنس المفرد أن يكون مثل الجمع العام إذ أريد به العموم(٧٥). وإذا كانت الصيغتان بمعنى واحد في الدلالة على الجنس على أضعف التقديرات كما سلم أبو حيان، فكان ينبغي لذلك أن نصوب النظر إلى ميادين أخرى بلاغية وجمالية لنكشف عن سر القرآن في اختلاف تعبيره، وقد أمدنا ابن خالويه بهذا الشعاع كما مر، فلعل التعبير بالإفراد في "كتابه" إشارة إلى أنهم اعترفوا بكل الكتب السماوية ما عدا القرآن. ويمكن التوسع في ذلك أيضا بقولنا بأن في الإفراد دلالة على الجنس، وفيه دلالة من وجه آخر على بيان مكانة القرآن العالية بين الكتب الأخرى، أو لأن الإيمان به يعد إيمانا بجميعها لأنه هو المهيمن والمتضمن لما فيها، والناسخ كذلك لأحكامها.

ثانيا : وقد يترتب على التغاير الصرفي للقراءات اختلاف معنى الآية إلا أنه اختلاف تنوع لا تناقض، فيدل على ثراء الآية وتعدد معانيها،ومن أمثلة ذلك:

تعدد أصل مادة الفعل:

ومن ذلك قوله تعالى: "وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما....."، البقرة: ٢٥٩.

القراءات في "ننشزها":

- قرأ ابن عامر، والكوفيون بالزاي المنقوطة مضمومة، وضم النون الأولى "ننشزها".
- وقرأ الباقون بالراء المضمومة مع ضم النون الأولى "ننشزها" (٧٦) .

التوجيه:

حجة من قرأ بالزاي أن "تشز" معناها ارتفع، والمعنى نرفع العظام إلى أماكنها من الجسم، فتكون هنا أنسب من "تشر" التي بمعنى أحيا، لأن العظام لا تحيا على انفراد، فالذي يوصف بالحياة هو جسم الرجل ككل لا عظامه فقط. وكذلك لأن العظام كانت كما هي لم تبل كما نقل، فاحتاج إلى رفعها إلى أماكنها فقط.

وحجة من قرأها "ننشرها"، لنظائرها في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: "ثم إذا شاء أنشره"(٧٧)، وقد وصف الله سبحانه العظام بالإحياء في قوله تعالى: "قال من يحي العظام وهي رميم". (٧٨)

والقراءتان وإن اختلفت مادتها بين "تشر ونشز"، ومعناهما، فالآية تقبل المعنيين، لأن إحياء العظام لا يكون إلا بعد ردها إلى أماكنها، وضم بعضها لبعض، فالقراءة الأولى لازمة للثانية، والثانية مبينة للأولى، ولعل التعبير"بننشزها" فيه إعادة تمثيل لخلق هذا الحيوان الميت بعد البلى، فكأن عملية الخلق تحدث أمامنا، عندما يرتفع كل عظم إلى مكانه، حتى يكتمل ذلك، فإذا بنا ننظر لنرى الحمار واقفا يتحرك بقدرة الله سبحانه، فهذه الظلال قد لا نجدها في قراءة "ننشرها"، والله أعلم.

قال الطبري: "القول في ذلك عندي أن معنى الإنشار، ومعنى الإنشاز متقاربان..... فهما وإن اختلفا في اللفظ، فمتقاربا المعنى، وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئا يقطع العذر ويوجب الحجة، فأيهما قرأ القارئ فمصيب لانقياد معنيهما، ولا حجة توجب لأحدهما من القضاء بالصواب على الأخرى". (٧٩)

وأصل "تشز": الارتفاع، ومنه قيل نشز للغلام إذا ارتفع طوله وشب، ومنه نشوز المرأة، أي ارتفاعها على زوجها في المعاملة، وهذا في المعنى المعنوي، وقيل للمكان المرتفع من الأرض: نشز ونشاز، ومنه قوله تعالى: "وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا"(٨٠) .

ومعنى الآية أن الله سبحانه أرى عزيرا عظام نفسه وحماره وهي تحيا وتتجمع وتعود إليها الحياة بعد موت مائة سنة ليعلم عظيم قدرة الله تعالى عيانا وحسا.

ومن ذلك قوله تعالى: "فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه....." البقرة: ٣٦.

القراءات في "فأزلهما":

- قرأ حمزة "فأزالهما"، بألف بعد الزاي، وتخفيف اللام، من الفعل "زال" بمعنى نحاهما الشيطان وأبعدهما عن الجنة.
- وقرأ الباقون "فأزلهما" بحذف الألف، وتشديد اللام، من الفعل "زل" أي أوقعهما في المعصية والخطأ، وهو الأكل من الشجرة [٨١].

التوجيه:

حجة من أثبت الألف:

- أن الزوال معناه الانتقال والتحويل، وآدم عليه السلام وحواء تحولوا عن الجنة إلى الأرض.
- لما قال الله سبحانه لهما: "اسكن أنت وزوجك الجنة"، أي اثبتا فيها، كان قوله "فأزلهما"، أي نحاهما عنها هو المناسب لأنه عكس الثبات.

وحجة من قرأ "فأزلهما"، أنه من الزلل، وأكد ذلك قوله تعالى: "إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كَسبوا"[٨٢]، وقوله تعالى: "فوسوس لهما الشيطان"[٨٣]، وليس للشيطان قدرة على نقل أحد من مكان إلى آخر، فقدرته في الوسوسة فقط التي يترتب عليها وقوعه في الخطأ[٨٤].. ولا تعارض بين القراءتين وإن اختلف اللفظ والمعنى، فهو من خلاف التنوع في التعبير عن المعنى، فالقراءة الثانية سبب ونتيجة للأولى، فإغواء الشيطان لهما أدى إلى خروجهما من الجنة. ولعل التعبير "بأزالهما" يلحظ فيه معنى الدفع والطرد الحسي، فيكون فيه تشخيص للمعنى، وإشارة في نفس الوقت إلى شدة إغواء الشيطان وقوة سلطانه عليهم، أثار هذه المعاني تلك القراءة دون الأخرى.

وصوب الطبري القراءة الثانية، لأن معنى الأولى مفهوم من قوله تعالى: "فأخرجهما"، فيكون تكرارا. والصواب صحة القراءتين لأن "زال" تكون بمعنى النزول عن المرتبة أو الدرجة، أو يكون الإخراج من الجنة على

مراحل، فكيف ترد هذه القراءة مع احتمالها لهذه المعاني ! بالإضافة إلى أن العمدة ثبوت نقلها وقد حدث، والله أعلم.

الثالث: التغاير النحوي وأثره في دلالة الآية

الإعراب في اللغة يدور حول الإبانة والوضوح، وعلى هذا المعنى جاء معناه في الاصطلاح، فهو في تعاريف النحويين يختص بالحركات والسكنات المتعاقبة على أواخر الكلم[٨٥] وهذا الاختلاف يترتب عليه الإبانة عن المعاني، وقديما قالوا عنه: الإعراب فرع المعنى، فالإعراب يميز المعاني. واختلاف القراءات المبني على التغاير الإعرابي غالبه لا يترتب عليه اختلاف معنى الآية، وقد يترتب عليه أحيانا اختلاف لكنه من باب خلاف التنوع والتعدد. والتغاير النحوي له صور متعددة بناء على تعدد العوامل، ومن صور ذلك ورد "لا" النافية للجنس بين الإعمال والإهمال:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"، البقرة: ٣٨.

القراءات في "فلا خوف":

قرأ يعقوب "فلا خوف"، بفتح الفاء، وحذف التنوين.

وقرأ الباقون "فلا خوف"، بالرفع والتنوين[٨٦]

التوجيه:

من قرأ بالفتح أعمل "لا" عمل "إن"، وهي "لا" النافية للجنس، "خوف": اسم "لا" مبني على الفتح، ومن حيث المعنى تكون نصا في العموم، فتنفي عن المؤمنين جميع أنواع الخوف، لأنها اسم نكرة في سياق النفي.

ومن قرأ بالرفع والتنوين ألغى عمل "لا"، و "خوف": مبتدأ مرفوع بالضمة وجاز الابتداء بالنكرة لأن فيه معنى العموم. وقيل: مرفوع لأن "لا" هنا عملت عمل ليس، وهو ضعيف لأنه قليل، وفي قياسه نزاع. وخبر المبتدأ: "عليهم". [٨٧]

وبين العكبري أن الأولى هنا عدم إعمال "لا" لأمرين:

الأول: أن "لا" معطوفة على جملة "لا" الثانية (ولا هم يحزنون)، ولا يجوز إعمال "لا" الثانية لأن اسمها معرفة فكذلك الأولى لتناسق الكلام.

الثاني: أن إعمال "لا" يدل على نفي الخوف عن المؤمنين بالكلية، والمقصود نفيه عنهم في الآخرة فقط لأنهم في الدنيا لا ينفكون عنه(٨٨).

والقراءتان صواب لتواترهما، وجواز الوجهان في اللغة، كما أن قوله "عليهم"، لا تفيد نفي الخوف بالكلية، ولكن ينفي فقط كون الخوف مستعليا عليهم، فالنفي منصب على كينونة استعلائه، لا على نفي جنس الخوف. فالآية بذلك لا تدل على نفي أهوال القيامة عن أهل الإيمان بالكلية، ولكنها مخففة عنهم. فإذا صاروا إلي الجنة فكأنهم لم يخافوا قط(٨٩). فلا فرق بين القراءتين إلا أن البناء في الأولى نص على عموم نفي الخوف، وقراءة الرفع مرجحة للعموم وليست نصا، وهذا هو الراجح لأن نفي الواحد "لا خوف" فيه معنى الجنسية، ولأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم.

ومثل الآية السابقة اختلاف القراء كذلك في إعمال "لا"، وإهمالها في الآيات الآتية في نفس السورة:

قوله تعالى: "فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج"(٩٠). وقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة..."(٩١). وكذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: "لا بيع فيها ولا خلال". وفي سورة الطور قوله تعالى: "لا لغو فيها ولا تأثيم".

والقراءات وإن كانت بمعنى واحد بالنظر إلى قواعد الصناعة النحوية، لكن المدقق وراء الألفاظ لا يصعب عليه أن يستشف أسرارا بلاغية أخرى، فإن اتفاق القراء مثلا على نصب "ولا جدال" في الآية السابقة يشمل جميع أنواعه، لأن الجدال أقبح في الحج، ولأنه أعم من الرفث والفسوق، كما أن النصب جعله في صورة الخبر لا النهي ليدل على انتفاء الجدل نهائيا في وقت الحج، وفي زمنه على خلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية من تقديمه وتأخيره، أو تمسك قريش بالوقوف بمزدلفة دون باقي الحجيج .

احتمال خبر "ليس" للتقديم والتأخير:

ومن أمثلته قوله تعالى: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب..." البقرة: ١٧٧.

القراءات في "البر":

قرأ حمزة، وحفص "البر"، بالنصب. وقرأ الباقون بالرفع[٩٢].

التوجيه:

حجة من رفع أنه جعل "البر" اسم ليس، و "أن تولوا" مصدر مؤول في محل نصب خبر ليس، والأصل أن يتقدم الاسم على الخبر، وأيد ذلك أن "البر" هو اسمها إجماعا في قوله تعالى: "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها" فحمل الأول على الثاني أولى من مخالفته له، والتقدير: ليس البر توليتكم وجوهكم.

وحجة من نصب "البر" أنه جعله خبر "ليس" مقدما، والمصدر المؤول هو الاسم، والتقدير: ليس توليتكم وجوهكم البر، وجاز تقديم الخبر لأن الاسم والخبر معرفتان فيجوز فيهما التقديم والتأخير. أما إذا كان أحدهما معرفة، والآخر نكرة، فالاختيار أن الاسم هو المعرف، ولذلك حسنت قراءة النصب هنا لأن المصدر أقوى في التعريف لأنه لا يتنكر، بخلاف "البر" فإنه يجوز تنكيره وتعريفه[٩٣].

والقراءتان حسنتان متواترتان، ولا يترتب عليهما اختلاف المعنى، والله أعلم.

- احتمال "لا" للنفي والنهي:

ومن أمثلته قوله تعالى: "لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده..."، البقرة: ٢٣٣.

القراءات في "لا تضار":

قرأ ابن كثير والبصريان برفع الراء، واختلف عن أبي جعفر، ففي رواية قرأها مثل ما سبق، ورواية أخرى أنه سكن الراء مخففة: "لا يضار"

وقرأ الباقون "لا يضار"، بفتح الراء مع التشديد[٩٤].

التوجيه:

حجة من رفع أن "لا" هنا نافية، والفعل بعدها مرفوع لأنه لم يسبقه ناصب ولا جازم، وما يؤيد ذلك أنه معطوف على مرفوع، وهو قوله تعالى قبلها: (لا تكلف نفس) فهو عطف خبر على خبر، وإن كان الجملة الثانية معناها النهي.

وحجة من فتح الراء، أنه جعل "لا" ناهية، وما بعدها مجزوم، وأصل الفعل: (لا يضارر)، سكنت الراء الأولى للإدغام، وسكنت الثانية للجزم، فالتقى ساكنان، فحرك الأخير منهما بالفتح على غير القياس، وذلك لموافقة الألف التي قبل الراء، لتجانس الألف والفتحة. ويحتمل أن يكون الفعل مبنيا للفاعل وللمفعول.

وأما توجيه قراءة أبي جعفر بالنسبة للتشديد في الراء مع التسكين أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، وأما التسكين مع التخفيف فإنه حذف الراء الثانية للتخفيف، وجاز أن يجمع بين الساكنين (الألف والراء)، لأن مدة الألف تجرى مجرى الحركة(٩٥). وجعل الزمخشري قراءة التسكين لأبي جعفر شاذة، وكذلك القرطبي لأن المثلين إذا اجتمعا وكانا أصليين لم يجز حذف أحدهما للتخفيف، والقراءة متواترة فلا وجه لردها، وقد وجهها أبو حيان وغيره كما سبق.

والقراءتان بمعنى واحد، وإن اختلف اللفظ والأسلوب، لأن قراءة الرفع أسلوب نفي، أما قراءة الجزم فهي نهي، والنفي فيه دلالة على أن ما نهى الله عنه قد وقع كما أراد، وشورع إلى تنفيذه. ومعنى الآية نهي من الله سبحانه للأم أن تمتنع عن إرضاع ولدها إضرارا بأبيه، أو تطلب أكثر من أجر مثلها، ونهي للأب أن يمنع الأم من إرضاع ولدها إذا رغبت في ذلك(٩٦).

احتمال بناء الفعل للفاعل أو المفعول:

ومثاله القراءات في "ترجعون"، في قوله تعالى: "ثم إليه ترجعون"، البقرة:٢٨.

قرأ يعقوب "ترجعون"، بفتح ياء المضارعة في جميع القرآن إذا كان من الرجوع إلي الآخرة، ويكون أصل الفعل "رجع" الثلاثي اللازم، والفاعل واو الجماعة.

وقرأ الباقون "ترجعون" بضم التاء، على أنه مبني للمجهول من الفعل "ارجع" المتعدي. وبين القراء اختلاف في المواضع الأخرى من القرآن، فصلها ابن الجزري وغيره(٩٧).

والقراءتان بمعنى واحد، فمن أرجعته فقد رجع، فالعرب تقول: رجعته فقد رجع، ونقصته فنقص، لفظ اللازم والمتعدي سواء[٩٨].

- وقيل: الضم أبلغ لأن الأفعال قبلها مسندة إلى الله سبحانه: "أحياكم ثم يميتكم..."، فالأولى إسناد الفعل إلى الله سبحانه أيضا، ولأن في ذلك تصريح بأن الله سبحانه هو الذي أعادهم إلى الآخرة بقدرته، بخلاف بناء الفعل للمجهول فيحتمل أن الله هو الذي أعادهم، أو أنهم عادوا بأنفسهم دون معيد[٩٩].
- احتمال الفعل للتأنيث والتذكير:

ومن أمثلته قوله تعالى: "ولا يقبل منها شفاعة"، البقرة: ٤٨.

القراءات في "لا يقبل":

قرأ ابن كثير والبصريان "تقبل"، بالتاء. وقرأ الباقون بالياء[١٠٠].

التوجيه:

من قرأ بالتاء لأنه دل بها على تأنيث الشفاعة.

ومن قرأ بالياء فله عدة حجج:

- أنه لما فصل بين الفعل والفاعل بفاصل "منها"، جاز التذكير.
- أن تأنيث الشفاعة مجازي، فيجوز في فعله الوجهان.
- قول ابن مسعود رضي الله عنه: إذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوه بالياء.
- ولأن الشفاعة بمعنى الشفيع[١٠١]. ولا اختلاف في المعنى بين القراءتين.

والشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهما الاثنان، لأنه كان وترا فشفعته فصار شفعا، ومنه يقال : الشفعة لأنك تضم ملك شريك إلى ملكك، والشفيع: صاحب الشفعة والشفاعة، وهي في الشرع: أن تضم غيرك إلى جاهك ومنزلتك، فهي إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع. والشفاعة حق فالأخبار متظاهرة بأن العصاة من المؤمنين والموحدين تنالهم شفاعة الملائكة والنبيين والصالحين، ومن الأدلة على ذلك إجماع السلف على قبول الروايات الدالة على ذلك، وكذلك إجماعهم على وقوع شفاعته صلي الله عليه وسلم يوم القيامة.

-احتمال اللفظ للعطف أو الاستئناف:

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: "وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء..."، البقرة: ٢٨٤.

قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، بفتح الراء، والباء في قوله: "فيغفر، ويعذب"، وحجتهم أنه كلام مستأنف غير معطوف على ما سبق والتقدير: فهو يغفر، ويعذب.

وأسكن الآخرون الراء والباء في الفعلين، وحجتهم أنهما معطوفان على قوله تعالى قبل ذلك: "يحاسبكم"، وهو مجزوم في جواب الشرط[١٠٢].

والقراءتان لا فرق بينهما في المعنى، ومرجعهما إلى اختلاف وجوه الإعراب، والله أعلم.

ومن التغاير الإعرابي ما يترتب عليه اختلاف المعنى، لكنه اختلاف تنوع كما سبق بيانه، ومن صور ذلك:

احتمال كون اللفظ فاعلا ومفعولا:

ومن ذلك قوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه"، البقرة:٣٧.

القراءات في "آدم":

- قرأ ابن كثير بنصب "آدم" عليه السلام، ورفع "كلمات".
- وقرأ الباقون برفع "آدم" عليه السلام، ونصب "كلمات"[١٠٣].

التوجيه:

حجة من رفع "آدم" عليه السلام، أنه هو المتلقي للكلمات، فقد أمره الله سبحانه بهن، فتلقهن بالقبول عنه.وحجة من رفع "الكلمات"، ونصب "آدم" عليه السلام، أن "كلمات" لما كانت هي المنقذة لآدم عليه السلام بتوفيق الله، كانت هي فاعلة، والتقدير بناء على هذا التوجيه: (فتلقت آدم من ربه كلمات) ولكن لما انفصل الفاعل المؤنث عن فعله، وكان مؤنثا مجازيا، جاز حذف علامة التأنيث من الفعل، وهذا أصل نحوي معمول به في اللغة والقرآن[١٠٤].

والقراءتان بمعنى واحد وإن اختلف اللفظ، لأن آدم عليه السلام إذا تلقى الكلمات فقد تلقته.

احتمال بناء الفعل للفاعل أو للمفعول:

ومن ذلك قوله تعالى: "وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد..."، البقرة: ٢٨٢.

القراءات في "لا يضار":

- قرأ ابن كثير والبصريان برفع الراء مع التشديد.
- وقرأ الباقون بفتح الراء مع التشديد، ما عدا أبو جعفر فإنه في رواية قرأها بالتخفيف مع تسكين الراء[١٠٥].

التوجيه:

وكلا القراءتين تحتمل كون الفعل فيها مبنيا للفاعل، ويكون أصله (لا يضارر) بكسر الراء الأولى، ويكون الكاتب والشهيد هما الفاعل، ويكون المعنى نهيا للكاتب أن يمتنع من الكتابة إذا دعي إليها، وكذلك الشاهد.

ورجح ذلك النحاس لقوله بعد ذلك: "وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم"، فالأولى بالفسق من شهد بغير الحق، أو من حرف في الكتابة، ولقوله عن كاتم الشهادة: "ومن يكتمها فإنه آثم قلبه"، والإثم والفسق واحد.

ويحتمل الفعل أن يكون مبنيا للمفعول، وأصل الفعل على ذلك (يضارر) بفتح الراء الأولى، ويكون: الكاتب والشهيد نائبا عن الفاعل، والفاعل هو صاحب الحق، والمعنى نهيه عن إذاية الكاتب والشاهد بأن يلزمهما بالحضور مع شغلهما، ويؤيد ذلك أن سياق الآية كلها مع أصحاب الديون والبيوع لا مع الشاهد والكاتب. ولأنه لو كان الخطاب مع الكاتب والشاهد لقال تعالى: "وإن تفعلا فإنه فسوق بكما"[١٠٦]. ولفظ المضارة لأنه واقع من اثنين، فإنه يقتضي هذه المعاني، فلكل قراءة معنى مخالف للآخر، والسياق يقبل المعنيين فيجب العمل بكليهما، فيكون الجميع منهيا عن فعل الضرر بالآخر، والله أعلم.

الرابع: التغاير الأسلوبي وأثره في دلالة الآية

تنقل الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة أو العكس نوع من التفنن في الأساليب العالية، يقصدها المتكلم لأغراض بلاغية مختلفة كالتشويق ولفت الانتباه، أو الإعراض والاحتقار أو غيرها، وهو أسلوب جار في كلام العرب،

وغالب هذا التنوع لا يترتب عليه اختلاف المعنى، وإن اختلف فهو من باب التنوع.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة..... وما الله بغافل عما تعملون"، البقرة: ٧٤.

القراءات في "يعملون":

- قرأ ابن كثير "يعملون"، بالياء.
- وقرأ الباقون بالتاء خطابا.

التوجيه:

حجة من قرأ بالتاء خطابا أنه الجاري على نسق الكلام قبله، وهو قوله تعالى: "ثم قست قلوبكم"، ويكون الخطاب لبني إسرائيل.

ومن قرأ بالياء " يعملون "، فيحتمل أن يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون مع بني إسرائيل، فيكون من باب الالتفات إذا خرج من الخطاب المباشر إلى الغيبة، وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عنهم بعد أن كان مخاطبا لهم،.فأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب لهوانه وخسته، وجعلهم كالغائبين عنه، مع كونهم أمامه، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام فيه تقدير له واحترام، وهم ليسوا أهلا لذلك لكثرة ما صدر عنهم من مخالفات وخطايا(١٠٧).

فقراءة الياء على أحد الوجوه تتفق مع قراءة التاء على أنها التفات، وهو نوع من التفنن في الأسلوب لأغراض بلاغية متنوعة كالتشويق، وجلب الانتباه، أو الإهانة، والتحقير، وغير ذلك. وأما على الوجه الثاني على أنه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، فيختلف معنى كل قراءة عن الأخرى، وتكون القراءتان بمنزلة الآيتين، فيجب العمل بكليهما، ويؤكد ذلك أن ما حكاه القرآن عن بني إسرائيل غرضه الزجر لنا أيضا من أن نقتفي آثارهم، ونسير سيرهم في المخالفات والمعاصي، فالسياق قابل لكلا المعنيين، وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إن بني إسرائيل قد مضوا، وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد، وبما يجري مجراه"(١٠٨).

وعلى نفس النمط القراءات في قوله تعالى:

"ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم..... فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون"، البقرة: ٨٥.

القراءات في "يعملون":

- قرأ نافع، وابن كثير، وأبو بكر "يعملون"، بالياء.
- وقرأ الباقون بالتاء.

التوجيه:

فمن قرأ بالتاء جرى على نسق الكلام، لأنه خطاب من أول الآية مع بني إسرائيل، في بيان مخالفتهم "ثم أنتم هؤلاء تقتلون"، ويحتمل أيضا أن يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، لأن الله سبحانه ليس بغافل عما يعمل كل أحد، ولأن القرآن تشريع لنا، وحكاية ما جرى لهم عظة لنا وعبرة

وأما قراءة الياء فيراد بها بني إسرائيل، ويكون من باب الالتفات من الخطاب على الغيبة من باب التحقير لهم والاستهانة، لأنهم ليسوا أهلا لخطابه سبحانه كما مر، ولأن ذلك جار على نمط كلام العرب، فإنهم يرجعون من المخاطبة إلى الغيبة، كقوله تعالى: "حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة"[١٠٩]، ولم يقل: بكم، أو يكون جرى على نسق آخر الآية: "ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب"، فيكون إتباعه بالأقرب إليه أولى.

والقراءتان قد يختلفا في المعنى، أو أن الاختلاف مرجعه إلى التفنن في تصاريف الكلام ووجوه التعبير عن شيء واحد.

ومن ذلك قوله تعالى:

"وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله..."، البقرة: ٨٣.

القراءات في "لا يعبدون":

- قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي "لا يعبدون"، بالياء، وقرأ الباقون بالتاء خطابا لبني إسرائيل.

التوجيه:

فالحجة لمن قرأ بالياء، لأن نسق الكلام قبله خبر عن الغيبة، لا خطابا معهم. وتكون هذه الجملة في موضع الحال من بني إسرائيل، أي أخذنا ميثاقهم غير عابدين إلا الله سبحانه، وقيل الجملة متعلقة بقسم مقدر.

والحجة لمن قرأ بالتاء، يكون من باب الالتفات من الكلام عن الغائب إلى المخاطبة على سبيل المواجهة، ليكون أدعى للقبول، وأقرب للامتثال، ويكون في ذلك تأكيدا للميثاق المأخوذ عليهم قولا(١١٠).

والقراءتان بمعنى واحد، كما تقول: استحلفت أخاك ليقومن، فتخبر عنه خبرك عن الغائب لغيبته عنك. وتقول: استحلفته لتقومن، فتخبر عنه خبرك عن المخاطب، لأنك قد خاطبته بذلك فيصح بذلك التعبيران، وكذلك القراءتان(١١١). و يكون اختلاف أسلوب لا معنى وكان الأصل " أن لا تعبدوا"، فلما حذف "أن" رفع الفعل مثل قول طرفة:(١١٢).

ألا أ يهذا الزاجري أحضر الوغى وإن أحضر اللذات هل أنت مخلدي

ومن الالتفات قراءة "تقولون"، في قوله تعالى:

"أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى...."، البقرة: ١٤١.

القراءات في "أم تقولون":

- قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص "أم تقولون"، بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

التوجيه:

حجة من قرأ بالياء أنه التفات من أسلوب الخطاب إلى الغيبة، أو يكون نسق مع قوله تعالى قبل ذلك على سبيل الغيبة: "فإن آمنوا..."

وأما من قرأ بالتاء، فلأنه مواجهة لهم زيادة في الزجر والتخويف ولأن سياق الآية من أولها على سبيل الخطاب: "أم تقولون.."، وقبل ذلك: " أتحاجوننا..."، فيكون الكلام متمشيا مع السياق(١١٣). فالاختلاف في الأسلوب فقط.

الخامس: أثر القراءات في آيات الأحكام

وتعدد القراءات لـــه أثره العظيم في خدمة الفقه الإسلامي، فقد أكســبه الطواعية والمرونة وترتب عليها كثرة الاستنباط، وتعدد الأدلة، وشارك فــي ذلك القراءات المتواترة والآحاد أيضا لأنها إن لم تثبت قرآنا فهي من قبيـــل الحديث الصحيح إذا رفع إلى الصحابي. والناظر في موسوعة الفقه الإسلامي يجد شغل الدليل القرائي مساحة واســـعة بيــن أنــواع الأدلــة المختلفــة، والاستدلال بالقراءة في الفقه له صور متعددة، فقد يستدل بها على إجماعهم على رأي، أو للجمع بين حكمين مختلفين أو للدلالة على حكميــن شــرعيين في حالين مختلفين أو غير ذلك من وجوه الاستدلال، ونظــرا لاتســاع هــذا المبحث وتعدد صوره فسوف اكتفي بعرض مثال واحد فقط يكشف هذا الأثر، وعسى أن أوفق لحصر مسائله واستيعاب صوره وفوائده في عمل قـــادم إن شاء الله.

حكم إتيان المرأة بعد الحيض

قوله تعالى: "ويسألونك عن المحيض قل هــو أذى فــاعتزلوا النســاء فــي المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فإذا تطهرن فأتوهن من حيــث أمركــم الله..."، البقرة: ٢٢٢.

القراءات في "يطهرن":

- قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وعاصم في رواية أبي بكر "يطـــهرن، بتشديد الطاء والهاء، من الفعل "يتطهر"، ثم أدغمت التاء في الطاء.
- والباقون، ورواية حفص عن عاصم "يطهرن"، بالتخفيف، من الفعـــل "طهر".(١١٤).

التوجيه:

من قرأ بالتشديد حجته المطابقة بين اللفظين (يطهرن، تطـــهرن)، لأن الثاني مشدد، ولأن قراءة التشديد معناها الاغتسال بالماء، واتفــق العلمــاء على عدم الجماع إلا بعد الاغتسال.

ومن قرأ بالتخفيف دليله قول العرب : طهرت المرأة، أي ارتفع دمــها، ولأن ذلك ليس من فعلهن، فهو من فعل الله سبحانه، بخلاف الاغتسال(١١٥).

أحكام الآية:

نصت الآية على حرمة جماع النساء في وقت الحيض لعلة الأذى، وأما المبيح لذلك فاختلف فيه الفقهاء على قولين بناء على القراءتين:

الأول: أنه يجوز إتيان المرأة بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله واشترط لذلك مضي أكثر مدة للحيض، وهو عنده عشرة أيام، أما قبل ذلك فلا يجوز حتى ولو انقطع الدم. ومن أدلته:

- أن معنى "يطهرن" المخفف ينقطع عنهم الدم، فالله سبحانه شرط الإباحة بانقطاع الدم، فإذا انقطع الدم عنها جاز جماعها وانتهت غاية هذا المنع. قال: وقراءة التشديد أيضا بنفس المعنى، فهما لغتان جمع بينهما في الآية، كقوله تعالى: "فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين"(١١٦). وكقول الكميت:(١١٧)

وما كانت الأنصار فيها أذلة ولا غيبا فيها إذ الناس غيبا.

- ولأن القراءتين كالآيتين يجب أن يعمل بهما جميعا، ونحن نحمل كل واحدة منهما على معنى، فقراءة التخفيف إذا ما انقطع دمها لأقل مدة الحيض فلا يجوز وطؤها حتى تغتسل، لأنه يمكن عودته. ونحمل قراءة التشديد على ما إذا انقطع دمها لأكثر المدة فيجوز وطؤها وإن لم تغتسل، وبذلك نعمل بالقراءتين.
- وكذلك جوز ابن عطية كون القراءتان بمعنى واحد سواء بمعنى انقطاع الدم، أو الاغتسال، وفي القاموس المحيط: طهرت وطهرت: انقطع دمها، واغتسلت من الحيض وغيره، كتطهرت"(١١٨).
- وبقياس الحيض على الجنابة، فإن وجوب الغسل بعدها لا يمنع الوطء.

القول الثاني: أنه لا يجوز جماع المرأة الحائض إلا بعد انقطاع حيضها والغسل منه، وهو قول جمهور العلماء، ومن أدلتهم:

- أن قراءة "يطهرن" بالتخفيف تعنى انقطاع الدم، وقراءة التشديد تعنى الاغتسال كما فسر ذلك ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. وأجمع العلماء على وجوب العمل بالقراءتين إذا تواترا وأمكن الجمع بينهما، وهنا يمكن ذلك، فيحرم جماع الحائض حتى ينقطع دمها، وحتى تغتسل كذلك، فيتم العمل بالقراءتين جميعا.

أو يكون الله سبحانه علق إباحة الوطء على شرطين: انقطاع الدم بالقراءة الأولى، والاغتسال بالقراءة الثانية، فلا يجوز ذلك إلا بعد أن يتم الشرطين، ومثاله عدم جواز دفع مال اليتيم له إلا بعد بلوغ المكلف، وإيناس لرشد منه وهو قوله تعالى: "وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم"(١١٩).

- وما أكد ذلك وأنه لابد من الاغتسال، أن الله سبحانه مدحهم في نهاية الآية بقوله "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"، فدل ذلك على أنها طهارة بالاغتسال لأنه فعل منهم، بخلاف انقطاع الدم.
- إجماع الأمة على حرمة الجماع قبل الاغتسال. وبناء على هذا الإجماع صوب الطبري قراءة التشديد.(١٢٠)، ولا يصح التقليل من القراءة الثانية لأنها ثبتت بالتواتر، فيجب العمل بها، ولا يجوز نسخها بالإجماع، فإن الإجماع لا ينسخ القرآن، وكذلك لأنه لم يسلم لهذا الإجماع الذي نقله، فقد عارضه ابن عطية رحمه الله، وقد مر التوفيق بين القراءتين وكلاهما صحيح.

والصواب رأي الجمهور، وأنه لا يجوز الوطء إلا بعد انقطاع الدم والاغتسال أيضا، بالجمع بين القراءتين، وأن قراءة التشديد الراجح فيها أنها تعنى الاغتسال، ومعنى الأخرى انقطاع الدم، ويرجح ذلك:

- أن الله سبحانه كرر لفظ "يطهرن"، والأولى أن يحمل كل لفظ على معنى جديد، لأن تكرار لفظ بنفس معناه في جملة واحدة خلاف الفصاحة، فكان الأولى حمل المكرر على معنى جديد.
- ولأن الله سبحانه عبر عن الإباحة بفعل الأمر "فأتوهن" فدل ذلك على أنه لا يكون إلا على الوجه الأكمل، الذي لا مطعن فيه ولا شبهة، فيكون هذا الحال مع الاغتسال لا مع انقطاع الدم فقط،(١٢١).

والله أعلم.

الخلاصة:

اختلاف القراءات اختلاف تنوع لا تناقض، ولذلك إما أن تكون القراءتان بمعنى واحد، أو يختلف المعنى لكنه من باب خلاف التنوع والتعدد الذي يقبله سياق الآية ومعناها، وغالب ذلك يرجع إلى أسرار بلاغية

وجمالية. وهذا التعدد القرائي أثمر فوائد عظيمة للعلوم المختلفة الشرعية واللغوية وغيرهما. ونظرا لأهمية هذا العلم فقد اجتهد العلماء في توثيق هذه القراءات، وتوجيه كل قراءة، وقد كانت أصولهم في التوجيه مستندة إما إلى الأدلة الشرعية من الاستدلال على كل قراءة بالقرآن أو السنة، أو سياق الآيات، أو استعمال القرآن، وقد تكون أصولا لغوية من القواعد النحوية والصرفية وغيرهما. وقد ترجع صور هذا التغاير القرائي إما إلى الاختلاف الصوتي، أو الوجوه النحوية، أو الصرفية، أو الأسلوبية.

الهوامش:

(١)انظر القاموس المحيط ص ٤٩.

(٢)انظر المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٦٠٦

(٣)منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص ٣

(٤)الإتقان في علوم القرآن ٢٢٢/١

(٥)سورة القيامة الآية : ١٧

(٦)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٨٩٧/١

(٧)سورة يونس الآية : ١٥

(٨)متفق عليه، الفتح كتاب فضائل القرآن ٦٣٨/٨، لفظ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" .

(٩)انظر صحيح مسلم للنووي ٢٧٢/٣ كتاب الصلاة

(١٠)انظر النشر ٢١/١

(١١)انظر النشر ٢١/١

(١٢)النشر ٥٢/١

(١٣)المصدر السابق

(١٤)أورد هذه النقول السيوطي في الإتقان ٢٢٩/١

(١٥)النشر ٩/١

(١٦)النشر ٥٢/١

(١٧)سورة النساء الآية : ٨٢

(١٨)سورة الشعراء الآية : ١٩٣ : ١٩٥

(١٩)النشر ٥٢/١

(٢٠)انظر النشر، الحجة في القراءات السبع

(٢١)انظر الحجة ص ٢٧، النشر ٢٣٧/٢

(٢٢)الحجة ص ٣٢

(٢٣)مناهل العرفان ١٤٦/١

(٢٤)سيرة ابن هشام ٢٨٤/١، إعجاز القرآن للرافعي ص٢٧١

(٢٥)إعجاز القرآن للرافعي ص ٢١٩

(٢٦)انظر النشر ٢١٥/٢، الحجة ص ٣٥

(٢٧)سورة سبأ: ١٦

(٢٨)انظر النشر ٢١٦/٢، الحجة ص ٤٧

(٢٩)انظر النشر ٢٣٠/٢، البحر المحيط ٥٧١/٢

(٣٠)انظر الحجة ص ٤٨، البحر المحيط ٦٩٧/٢

(٣١)سورة الأنفال الآية : ٦١

(٣٢)سورة محمد الآية: ٣٥

(٣٣)انظر النشر ٢٢٦/٢، الحجة ص ٤٢، البحر المحيط ٣٣٨/٢

(٣٤)النشر ٢٣٠/٢، سورة الحج الآية:

(٣٥)انظر الحجة ص ٤٤، جامع البيان ٨٥٥/٢

(٣٦)زاد المسير ٢٦٣/١

(٣٧)انظر الحجة ص ٤٤، جامع البيان ٨٥٥/٢

(٣٨)انظر البحر المحيط ٥٩٤/٢

(٣٩)انظر النشر ٢/ ٢٣٠، الحجة ص ٢٤٥، الجامع لأحكام القرآن ١٠٦١/٢

(٤٠)النشر ٢١٨/٢

(٤١) سورة العنكبوت الآية: ٨.

(٤٢)سورة النمل الآية: ١١

(٤٣)انظر جامع البيان ٥٥٢/١، وانظر معاني القراءات ٨٥/١

(٤٤)انظر النشر ٢١٨/٢

(٤٥)انظر الحجة في القراءات ص ٣٤، التفسير الكبير ١٨٣/٣، الجامع لأحكام القـــرآن ٤١٤/١، البحر المحيط ٤٦٨/١

(٤٦)انظر الطبري ٣١٢/٢، معاني القراءات للأزهري ص ١٦٤

(٤٧)قوله تعالى: "وإذ واعدنا موسى ثلاثين ليلة"

(٤٨)سورة طه الآية: ٨٦

(٤٩)سورة إبراهيم الآية: ٢٢، سورة الأنفال الآية: ٧

(٥٠)انظر الحجة ص ٢٨، زاد المسير ٦٦/١، البحر المحيط ٣٢٠/١

(٥١)انظر البحر المحيط ٣٢٠/١

(٥٢)انظر جامع البيان ٥٩/٢

(٥٣)النشر ٢٢٢/٢

(٥٤)البحر المحيط ٦٣٢/١، المفردات ص ٨٢٤

(٥٥)انظر الحجة في القراءات ص ٣٦

(٥٦)انظر النشر ٢١٨/١

(٥٧)انظر البحر المحيط ٤٩٠/١

(٥٨)قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له"

(٥٩)قوله تعالى: "يضاعف لها العذاب" الأحزاب، وقوله تعالى: "لا تأكلوا الربـــا أضعافـا مضاعفة " آل عمران .

(٦٠)النشر ٢٢٨/٢

(٦١)سورة الأنعام الآية: ١٦٠، انظر الحجة ص ٤٤، الجامع لأحكام القرآن ١٠٥٠/٢

(٦٢)المفردات ص ٤٣٨

(٦٣)التفسير الكبير ١٨٢/٦

(٦٤)انظر جامع البيان ٨٠٤/٢

(٦٥)قوله تعالى: "وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين"

(٦٦)انظر النشر ٢١٨/٢

(٦٧)انظر الحجة ص ٣٤، الجامع لأحكام القرآن ٤١٤/١، التفسير الكبير ١٨٤/٣

(٦٨)انظر جامع البيان ٣٠٨/١

(٦٩)انظر النشر ٢٢٢/٢، القرطبي ٥٧٨/١

(٧٠)انظر البحر المحيط ٨١/٢

(٧١)سورة التحريم الآية : ١٢

(٧٢)انظر النشر ٢٣٧/٢، زاد المسير ٢٩٦/١

(٧٣)زاد المسير ٢٩٦/١، وانظر: الحجة في القراءات ص ٤٨، البحر المحيط ٧٥٦/٢

(٧٤)هامش الكشاف ٤٠٧/١

(٧٥)انظر البحر المحيط ٧٥٧/٢

(٧٦)النشر ٢٣٠/٢

(٧٧)سورة عبس الآية: ٢٢

(٧٨) سورة ياسين الآية: ٧٨ ، وانظر الحجة ص ٤٦، الجامع لأحكام القرآن ١١٠٢/٢، البحر المحيط ٦٣٧/٢، التفسير الكبير ٤٠/٧

(٧٩)جامع البيان ٦٣/٣

(٨٠)سورة المجادلة الآية: ١١

(٨١)انظر: النشر ٢١١/٢

(٨٢)سورة آل عمران الآية: ١٥٥

(٨٣)سورة الأعراف الآية: ٢١

(٨٤)انظر الحجة ص ٢٨، البحر المحيط ٢٦٠/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٥/١

(٨٥)انظر: المفردات ص ٤٩٢، الإتقان ٢٦١/٢

(٨٦)النشر ٢١١/٢

(٨٧)انظر البحر المحيط ٢٧٤/١

(٨٨)انظر التبيان في إعراب القرآن ٣٢/١

(٨٩)انظر البحر المحيط ٢٧٤/١

(٩٠)سورة البقرة الآية: ١٩٧

(٩١)سورة البقرة الآية: ٢٤٥

(٩٢)النشر ٢٧٧/٢

(٩٣)انظر الحجة ص ٤٠، الجامع لأحكام القرآن ٦١٥/١، التبيان ٧٧/١

(٩٤)انظر النشر ٢٢٧/٢

(٩٥)انظر الحجة ص ٤٣، البحر المحيط ٥٠٢/٢

(٩٦)انظر الجامع لأحكام القرآن ٢/٩٧٥

(٩٧)انظر النشر ٢/٢٠٨

(٩٨)معاني القراءات ١/١٩٩

(٩٩)انظر الحجة ص ٤٢، البحر المحيط ١/٢٠٨

(١٠٠)انظر النشر ٢/٢١٢

(١٠١)انظر الحجة ص ٢٩، الجامع لأحكام القرآن ١/٣٢٤

(١٠٢)انظر النشر ٢/٢٣٧، زاد المسير ١/٢٩٥

(١٠٣)النشر ٢/٢١١

(١٠٤)انظر الحجة ص ٢٨، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٧٨

(١٠٥)انظر النشر ٢/٢٢٧

(١٠٦)انظر البحر المحيط ٢/٧٤٠، الجامع لأحكام القرآن ٥/١٢

(١٠٧)انظر : النشر ٢/٢١٦، الحجة ص ٣٣، البحر المحيط ٢/٤٣٢

(١٠٨)انظر البحر المحيط ٢/٤٧٣

(١٠٩)سورة يونس الآية : ٢٢

(١١٠)انظر الحجة ص ٣٤، البحر المحيط ١/٤٥٦

(١١١)انظر جامع البيان ١/٥٤٨

(١١٢)معاني القراءات ١/١٦٠

(١١٣)انظر الحجة ص ٣٨، البحر المحيط ١/٦٥٨

(١١٤)النشر ٢/٢٢٦

(١١٥)انظر الحجة ص ٤٣، زاد المسير ١/٢٢٤

(١١٦)سورة براءة الآية : ١٠٨

(١١٧)الجامع لأحكام القرآن ٢/٩٨٦

(١١٨)القاموس المحيط ص ٤٣٢

(١١٩)سورة النساء الآية:

(١٢٠)انظر جامع البيان ٢/٢٢٢

(١٢١)انظر: البحر المحيط ٢/٤٢٤، الجامع لأحكام القرآن ٢/٨٩٧، المغني لابن قدامه ١/٣٣٨، التفسير الكبير ٦/٧٤ .

المصادر

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل، مكتبة المشهد الحسيني، الطبعة الأولى١٩٩٧.
- إعجاز القرآن للرافعي، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر.
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي، ط دار الفكر القاهرة.
- التبيان في إعراب القرآن للعكبري، ط المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
- جامع البيان في تأويل أي القرآن للطبري، ط دار الفكر للطباعة والنشر.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط دار الشعب، نشر دار الريان للتراث.
- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، تحقيق د. فتحي حجازي، ط دار الكتب العلمية بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ط دار الفكر للطباعة والنشر.
- سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين، ط دار التراث القاهرة.
- صحيح مسلم شرح النووي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، ط دار الغد العربي القاهرة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، ط دار الريان للتراث.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط دار الفكر. وبهامشه الإنصاف لابن المنير.
- المغني لابن قدامه الحنبلي، تحقيق د. محمد سالم، ود. شعبان إسماعيل، ط مكتبة الكليات الأزهرية.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني، ط مكتبة الأنجلو المصرية.
- مناهل العرفان للزرقاني، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

-منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، ط دار زاهد القدسي.
-النشر في القراءات العشر لابن الجزري، مراجعة الشـــيخ محمـــد علـــي الصباغ، ط دار الكتب العلمية بيروت.